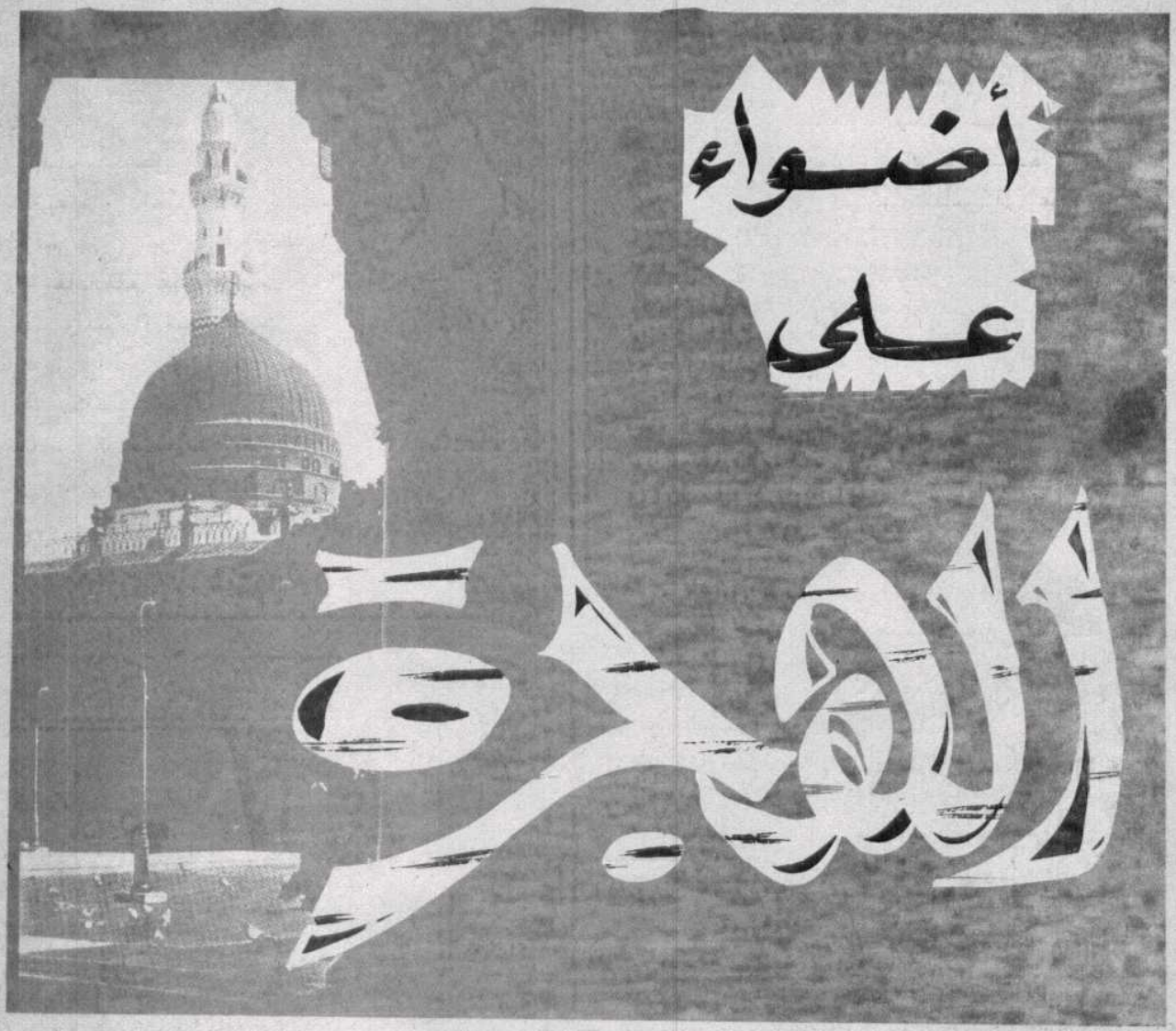

للدكتور :
رشدي عزيز محمد

نعيش الآن شهر المحرم وهو شهر يذكر المسلمين بذكرى هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة، وهي لا شك ذكرى خالدة لا تنسى اثارها ولا يغيب عن قلوب المسلمين وحيها وجلالها، وهي كذلك بما حوته من اثار ونتائج سبقتها احداث واسباب لا تنفك حية في قلوب المؤمنين تدعوهم الى العزة والشرف الى التضحية في سبيل المجد والكرامة، ونحن اذ نحتفل بهذه الذكرى ونسعد بها لا نريد من المسلمين ان ينظروا اليها على انها مجرد خطب تلقى في المحافل او كلام على ورق، وانما نريد منهم ان يستفيدوا من هذا الحدث الضخم، نريد منهم ان يسعدوا من ذكريات الهجرة بما ينفع من ماضيها في حاضرها وما يستخلص من هذا الحدث العظيم من مبادىء وعبر يبنون عليه مستقبلهم.

قبل الهجرة كان المسلمون افرادا مبعثرين لا يجمعهم نظام ولا يستقر لهم مكان.. ولو ان الأمر استمر بهم على هذا النحو لقضى عليهم ذلك الضغط الذى كان يطوقهم في معتقداتهم وفي وطنهم وفي مالهم بل وفي كل شأن من شئون حياتهم، ولكن الله سبحانه هيأ لهم اسباب الهجرة ووجدوا من المدينة مكانا خصيبا فوضعوا فيه البذور الطيبة لنبت الدولة الذى ترعرع بعد وظلل واثمر حقا لقد كانت الهجرة سببا في انتشار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النور الالهي وصار للمسلمين جوار غير الجوار عقدوا معه معاهدة الأمن وعدم الاعتداء.. واكتملت لهم عناصر الوجود الدولي، فكانت التشريعات الداخلية التى بنت اسرهم على اسس ثابتة، ونظمت لهم معاملاتهم على اساس من العدل والمساواة فيما بينهم وبين غيرهم.

لقد كانت هجرة الرسول وصحبه الكرام هجرة قلوب قبل ان تكون هجرة ابدان، ولا تقع هجرة الابدان موقعها عند الله تعالى الا اذا كانت تلبية لهجرة القلوب..

ولذا فقد نوه المولى جلت قدرته في كتابه العزيز بحادث الهجرة حيث اعتبر الهجرة فرضا دينيا من تخلف عنه مع قدرته عليه مصيره كمصير من ترك الفروض الدينية من عقائد وعبادات، وفي هذا القول جلت قدرته (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم، قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)..

لقد ادت الهجرة الى تكتل المسلمين، وفي التكتل نجاح، لقد تكتل ابناء مكة مع ابناء المدينة، المهاجرون مع الأنصار، وكون الجميع كتلة واحدة متماسكة، واثمر هذا التكتل دولة مبنية على المحبة والاخاء، على الرحمة وعلى التعاون، لقد تجمع هؤلاء واولئك لاسعاد البشرية، كما ان تكتلهم هذا زعزع حصون الشرك وقوض عروش الوثنية، وهكذا كانت الهجرة نصرا من الله لرسوله

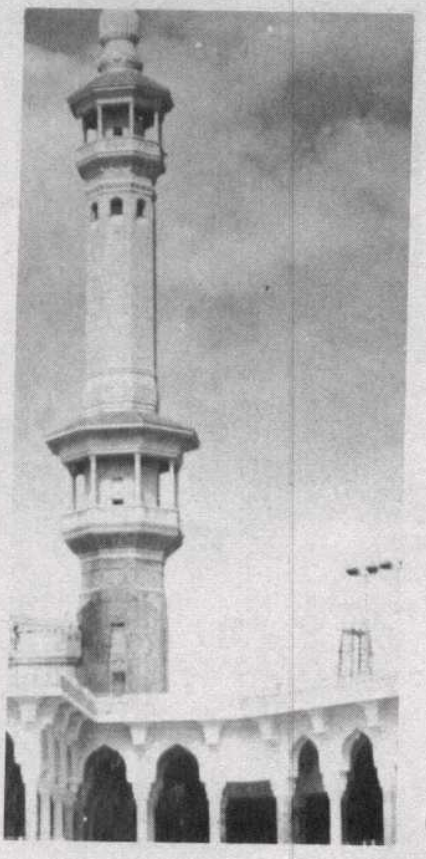

وللمؤمنين (الا تنصروه وقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا..) (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)..

ان على المسلمين ان يدركوا جيدا ان حادث الهجرة يملي عليهم ان يقوموا بواجبهم في مكافحة الشر والرذيلة والوثنية والاستعباد والباطل والطغيان ما دام فيهم قلوب تنبض بالايمان لله والسنة تذكر محمدا صلى الله عليه وسلم..

والحق ان هجرة الرسول العظيم من مكة الى المدينة قد حول اتجاه الناس الى طريق الخير والسعادة وابعدهم عن مواطن الشر والشقاء. حيث كانت الهجرة سببا في نبذ عبادة الاصنام واتجهت بالناس الى عبادة الله الواحد الاحد..

لقد هاجر محمد بدعوته من هذا البلد الذي اوذى فيه هو وصحبه على مدى ثلاث عشرة سنة ليجد في المدينة مجالا ارحب لنشر دعوته وهناك وجد القلوب والافئدة التى التفت حوله وجد الرجال الذين آووه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه،نصروه بصورة تعد اروع الصور في التضحية والبذل والفداء..

لقد جاءت رسالة محمد عامة، لم تكن خاصة بشعب دون شعب، ولا بقبيلة دون قبيلة، بل كانت دعوة للناس عامة.. كانت لابناء مكة ولأبناء المدينة وللناس جميعا وللأمكنة جميعا، واذن فما على اصحاب دعوة الحق الا ان يعملوا على نشر دعوتهم وتركيزها على عمدها الطيبة المتينة وان يهيئوا للمباديء والمثل المجتمع الصالح الذى يعي ويتقبل ويفهم فيؤمن ويبذل ويضحي،بهذا تنجح المباديء وتقوم على دعائم قوية واسس سليمة..

ان من المعانى التى يجب ان تمتلىء بها نفوس المؤمنين كلما ذكروا الهجرة وعرفوا اسبابها وفهموا اثارها التى ترتبت عليها هي ان ينظروا الى المباديء وما حوت والى المثل التى تحتاجها الانسانية كلما نزل بها كرب او حلت بها كارثة..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

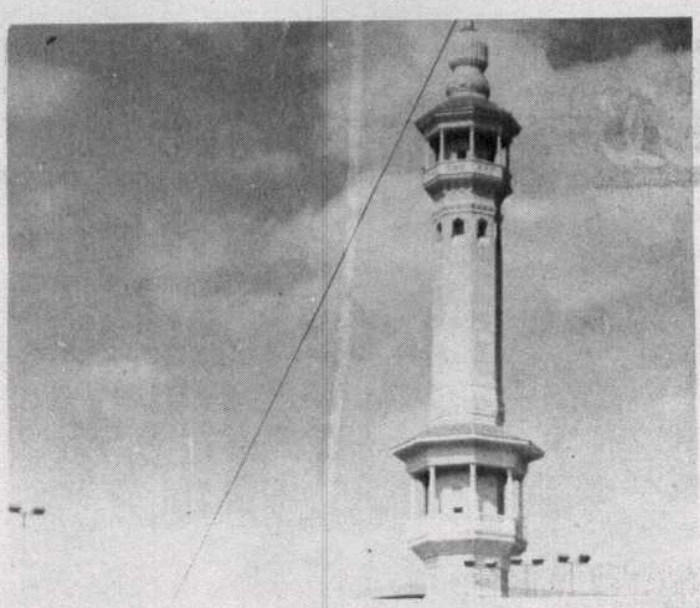

ان البقاء الذى يوصف بالدوام لا يمكن ان يكون الا لدعوة توافرت فيها اسلحة القوة المعنوية كما توافرت في شخص صاحب الهجرة محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد هاجر محمد وصحبه فرارا بدينهم من بطشة الباطل واهله، ولكنه عاد الى مكة فاتحا، لقد عاد المسلمون لاسترداد حقهم المسلوب، ففتحوا البلد الذى منها اخرجوا ودوت كلمة الحق في ارجائها وارتحل الباطل بمظالمه وفتنه وكيده مبعثرا فى الافاق (ان فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)..

فهل لنا ـ وقد عشنا جو الهجرة وفهمناها ـ ان نذكر ان جونا الحاضر من جوها؟ وان وقفة الباطل اليوم هي وقفته من رجالها بالامس؟

ان علينا ان نذكر ان سهام الباطل التي اشتهرت في وجوه اهل الحق بالأمس هي التي تشهر في وجوهنا اليوم، وان نوقن ان باطل اليوم سيخر بايمان اهل الحق صريعا ويصبح هباء منثورا (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض) هكذا علمتنا الهجرة، وهكذا تعلمنا من صاحب الهجرة، فسلام عليك يا صاحب الذكرى العطرة، سلام عليك يوم ان اضطهدت في دعوتك واوذيت من اهلك وبني جلدتك فصبرت وصابرت، سلام عليك يوم تركت مكة قاصدا ثقيف علك تجد فيهم من يسمع لدعوتك ولما علموا بمقدمك صفوا لك الصبية والشباب والنساء على جانبى الطريق وامطروك بوابل من كلمات السباب وقذفوك بالحجارة حتى ادمت قدميك، فجلست الى جوار بستان لشيبة وعتبة ابنا ربيعة تناجي ربك (اللهم انى اشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهواني على الناس يا ارحم الراحمين، انت ربي، الى من تكلني... ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي) ويأتيك جبريل وانت على هذه الحال فتقول له: اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون، فيقول لك صدق من سماك الرؤوف الرحيم، ولو انك دعوت الله ان يهلك هؤلاء القوم لأجاب الله دعاءك ولكنك لم تفعل بل دعوت لمن اذوك بالهداية.. سلام عليك يوم اجمعت عصابة الشرك على قتلك فاصطحبت صديقك ابا بكر ممتثلا امر ربك وهاجرت.. سلام عليك يوم هاجرت انت وصحبك المخلصون تبتغون فضلا من الله ورضوانا، سلام عليك يوم وصلت الى المدينة سالما تحدوك عناية الله فآخيت بين المهاجرين والانصار وبين الانصار والانصار، وكونت من الجميع قوة مؤمنة زلزلت بها اركان الشرك والطغيان، سلام عليك يوم ثبتت دعائم الايمان في المجتمع الجديد ويوم نصرك الله فعدت فاتحا مكة التى أخرجت انت وصحبك منها وكنتم هداة مرشدين، وقادة مصلحين تمت بهم كلمة الله، وعرف الناس من طريقك العدل والمساواة.. كما عرفوا ان العزة لمن جاهد في سبيل الله وان الأجر مكفول لكل منهم عند الله (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)..

والله الموفق...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com